المحاضرة 02: السرقات الأدبية

تمهيد:

شغلت قضية السرقات الأدبية حيزا واسعا في موروثنا النقدي، إذ تعد من أقدم القضايا النقدية وأهمها التي حظيت باهتمام كبير من طرف النقاد والشعراء، يرى القاضي الجرجاني أن السرقة الأدبية داء قديم و عيب عتيق. ما تعرى منه متقدم و لا متأخر فما مفهوم السرقات (الأدبية والشعرية) وما موقف النقاد منها؟

مفهوم السرقات بين اللغة والاصطلاح:

لـغـةً: سرق الشيء يسرقه سَرَقًا وسَرِقًا ... والمسارقة والاسترَاق والتسرق، خفي، الاختلاس والسمع... ويقال سارق الشعر سُرَاقة واسترق السمع إذا تسمع مختفيًا[1]. وجاء في القاموس المحيط "من سرق منه الشيء ،يسرق سرقا ،واسترقه،جاء مستترا إلى حرز ،فأخذ مالا لغيره"[2]

اصطلاحا: السرقات الشعرية كمصطلح نقدي هي عند معظم النقاد تعني أن يأخذ الشاعرشيئا من شعر غيره ناسبا إياه إلى نفسه وهو عيب عندهم. فالسرقة هي الأخذ عندما تؤخذ معاني الغير دون علم صاحبها ويسطو عليها وينسبها لنفسه.

تاريخ نشأة السرقات الشعرية في أدبنا العربي:

قضية السرقات الشعرية قضية قديمة في الأدب العربي،عرفت عند القدماء من الأدباء والشعراء، وهي تقع أكثر ما تقع في الشعر ولها علاقة وطيدة بأصالة الشاعر ومدى تأثره بمن سبقه أو عاصره من الشعراء ،يروى عن الأصمعي قوله: "سمعت أبا عمرو بن العلاء

---

[1] – لسان العرب ص 1998 (سرق) والقاموس المحيط ص 804 (سرق).

[2] الفبروزبادي، القاموس المحيط،ص:893.

يقول لقيت الفرزدق في المربد[3]،فقلت يا أبا فراس قلت شيئا،أحدثت شيئا؟قال: فقال خذ، ثم أنشدني:

كم دُون ميّة من مستعمل قذف ومن فلاة بهل تُستودعُ العيسُ

قال:سبحان الله(!) ،هذا للمتلمس،فقال:اكتمها،فلضوال الشعر أحبّ إليّ من ضوال الإبل"[4].

وهذا مايسمى بالانتحال أو الادعاء،والذي عده القدماء نوعا من أنواع السرقات.

1-السرقات الشعرية في العصر الجاهلي:

وجدت قضية السرقات الشعرية بين شعراء الجاهلية ،فقد لاحظوا مظاهرها بين امرئ القيس وطرفة بن العبد و بين الأعشى و النابغة الذبياني و بين أوس بن حجر و زهير بن أبي سلمى. وقد كان حسان بن ثابت يعتز بكلامه و ينفي معانيه عن الأخذ والإغارة يقول:

لا أسرق الشعراء ما نطقوا بل لا يوافق شعرهم شعري

فموضوع عريض الجاه في الأدب العربي لطول حياته و كثرة أطواره و أدبائه واتصاله بآداب عدة و علوم و فلسفات، وشعوب و بيئات كثيرة.[5] لقد أدرك الشعراء الجاهليون أن الأول لم يترك للآخر شيئا، فقال كعب بن زهير:

ما أرانا نقول إلا معـــادا أو معـارا من قولنا مكرورا

والعصر الجاهلي معروف بأصالة الشعراء واعتزازهم بشعرهم يذكر ابن قتيبة قول طرفة بن العبد: **وقوفا بها صحبي على مطيّهم يقولون لا تهلك أسى وتجلّد**

فقد سرقه بكامله من امرئ القيس فما غير منه غير كلمة الروي(وتجمل) في قوله:

وقوفا بها صحبي على مطيهم يقولون لا تهلك أسى وتجمّل

---

[3] المربد: محبسُ الإبل ومربطُها،والمربد أيضا بيدر التمر لأنه يُربَدُ فيه فيُشمسُ.ةالرُبدة لون إلى الغبرة،وهو على ثلاثة أميال من مدينة البصرة،كان في الجاهلية سوقا للإبل وفي العهد الإسلامي توسع فصار سوقا أدبية يؤمها الشعراء والأدباء.

[4] محمد عبد المطلب،اتجاهات النقد خلال القرنين السادس والسابع الهجريين،دار الأندلس-بيروت،ط1، 1404هـ-1984م،ص:109.

[5]- عبد العزيز عتيق:في النقد الأدبي،دار النهضة العربية، ط1،دت ،ص:310.

يذكر الرواة أن كثيرا من أبيات امرئ القيس قد اغتصبها الشعراء الذين أتوا من بعده وفيهم جاهليون. بل لم يسلم امرؤ القيس نفسه من تهمة السرقة،فابن رشيق يقول : "وكان امرؤ القيس يتوكأ عليه –يقصد أبا دؤاد الإيادي– ويروي شعره" [6]

فكرة السرقات كانت موجودة في العصر الجاهلي، ويمكن ردها إلى أنواع ثلاثة:

الأول: سرقات الشعراء المشهورين من شعراء القبائل المغمورين.

الثاني: سرقات الشعراء من امرئ القيس.

الثالث: سرقات ترجع أسبابها إلى اختلاف رواية الشعر.

2–السرقات الشعرية في عصر صدر الإسلام:

أصبحت السرقات أكثر شيوعًا مما كانت عليه في الجاهلية، وقد أشار الشعراء إلى السرقات الشعرية في معرض الفخر أو الهجاء،فهذا حسان بن ثابت يفخر بأشعاره، ويدّعي لنفسه الابتكار، وأنه لا يسرق معاني غيره ممن سبقه من الشعراء يقول:

لا أسرق الشعراء ما نطقوا بل لا يوافق شعرهم شعري

إنّي أبّى ذلكم حسبي ومقالة كمقاطع الصخر

و قد عرض ابن قتيبة في كتابه "الشعر و الشعراء" لسرقات بعض المخضرمين من الجاهليين أو من معاصريهم. فهو يذكر أن النابغة الجعدي أخذ من امرئ القيس والنابغة الذبياني، وزهير وابنه كعب والأعشى وأمية بن الصلت، وأن الحطيئة أخذ من النابغة وأبي دؤاد الإيادي، وأن ابن مقبل أخذ من الحطيئة وعدي بن زيد العبادي والنابغة الجعدي. كذلك أخذ الشماخ من امرئ القيس والمسيب بن علس، وعبد الله بن الزبعري من طرفة، وربيعة بن مقروم الضبي من النابغة، وكعب بن زهير والنجاشي من امرئ القيس"[7].

3– السرقات الشعرية في العصر الأموي:

---

[6]– ابن رشيق:العمدة،ج1/ص:61.

[7]–ينظر ابن قتيبة :الشعر و الشعراء،ص:47.

نتيجة للتطور الكبير في الحياة العربية في هذا العصر، بسبب تعدد البيئات و تغير الأوضاع السياسية والاجتماعية وعودة العصبيات القبلية وظهور الانقسامات والأحزاب السياسية.أدى ذلك إلى تفشي ظاهرة السرقة الشعرية بين الشعراء وأنه قلما برئ أحدهم من الإغارة على شعر غيره،أو نجا من إغارة غيره على شعره.و قد تورط حتى الفحول منهم في السرقات،فالفرزدق الذي يعده ابن سلام إمام الطبقة الأولى من الإسلاميين مثلا له تاريخ حافل في السرقات الشعرية.[8] لقد كان شعراء العصر الأموي يقاتل بعضهم بعضا بمختلف الأغراض الشعرية على رأسها الفخر والهجاء تق، متهمين بعضهم بالسرقة والتقليل من شأن منافسيهم، فهذا الأخطل يقول:

حَمَلَت عَلَيكَ حُماةُ قَيسٍ خَيلَها شُعثاً عَوابِسَ تَحمِلُ الأَبطالا

ما زِلتَ تَحسِبُ كُلَّ شَيءٍ بَعدَهُم خَيلاً تَشُدُّ عَلَيكُمُ وَرِجالا

وهو في صدد هجاء جرير، فقال هذا الأخير سرقة الخبيث من قول الله تعالى:" **وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ۖ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ ۚ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ ۖ(المنافقون:4)**، وقد اتهم جرير الفرزدق بالسرقة في قوله:

سَتَعلَمُ مَن يَصيرُ أَبوهُ قَينـاً وَمَن عُرِفَت قَصائِدُهُ اِجتِلابا

يرد الفرزدق على جرير ويتهمه بالسرقة منه، بقوله:

إِنَّ اِستِراقَكَ يا جَريرُ قَصائِدي مِثلُ اِدِّعاءِ سِوى أَبيكَ تَنَقَّلُ

فهمنا تبادل الشاعران التهم بالسرقة كل منهما الآخر.

4-**<u>السرقات الشعرية في العصر العباسي:</u>**

---

(8)- ينظر عبد العزيز عتيق: في النقد الأدبي،ص:314.

تميز هذا العصر عن عصور الأدب جميعا بتنوع ثقافته،وتنوع صور السرقات الشعرية ، وقد أثارت هذه الظاهرة أكثر من حركة نقدية نشيطة انكب عليها النقاد بالدرس والبحث وصنفت فيها كتب و رسائل شتى. وقلما سلم شاعر عباسي واحد من اتهامه صدقا أو كذا بالسرقة من شعر غيره.[9] و من بين جميع الشعراء العباسيين نجد خمسة منهم قد كثر الجدل واشتدت الخصومة حول شعرهم وسرقاتهم، وسرقات غيرهم منهم،وهؤلاء هم بشار بن برد،و أبو نواس، أبو تمام والبحتري،وأبو الطيب المتنبي. يحدثنا الرواة أن بشارا حين قال بيته:

مَن راقَبَ الناسَ لَم يَظفَر بِحاجَتِهِ وَفازَ بِالطَيِّباتِ الفاتِكُ اللَهِجُ

يُروى أنّ تلميذه سلم الخاسر أخذه في قوله:

مَن راقَبَ الناسَ ماتَ غَمّاً وَفازَ بِاللّذَّةِ الجَسورُ

فبشار أخذ من تلميذه أغلب ألفاظ شعره. كما يُروى أن أبا نواس أخذ في قوله:

دَع عَنكَ لَومي فَإِنَّ اللَومَ إِغراءُ وَداوِني بِالَّتي كانَت هِيَ الداءُ

من قول الأعشى:

وكَأسٍ شَرِبتُ عَلى لَذَّةٍ وَأُخرى تَداوَيتُ مِنها بِها

السرقة في(**وَداوِني بِالَّتي كانَت هِيَ الداءُ**) مأخوذة من (**تَداوَيتُ مِنها بِها**).

<u>موقف النقاد العرب القدامى من السرقات:</u>

لا يخلو كتاب نقدي من مؤلفات القدامى من الحديث عن السرقات الشعرية أبرزها:

1-الأصمعي:

يعد الأصمعي أول من أشار إلى مصطبح السرقة في معرض حديثه عن شعر النابغة الجعدي،يقول:"والشعر أول من قوله جيد،والآخر كأنه مسروق وليس بجيد"[10]،وفي موضع آخر يقول:"أن تسعة أعشار شعر الفرزدق سرقة وأما جرير فما علمته سرق إلا لنصف

---

(9)- المرجع نفسه،ص:319.

10 الموشح للمرزباني،ص:91

بيت"[11]. يظهر هنا تحامل الأصمعي على الفرزدق وقد رد المرزباني على هذا التحامل والتقوّل على الفرزدق فبيّن أنه يعود لهجائه بأهله،دون أن ينفي عليه تهمة السرقة في قوله أن الفرودق قد أغار على بعض الشعراء في أبيات معروفة،فأما أن نطلق أن تسعة أعشار شعره سرقة فهذا محال[12].

والأصمعي يحكم على الكلام الأول هو دائما جيد وما يحاك على منواله دائما مسروق ،ولم يكن تناوله لقضية السرقات الشعرية عميقا ،فكانت إشارته لها بطريقة سطحية بذكر مسمياتها وأقسامها فقط.

2-ابن سلام الجمحي:

تناول ابن سلام قضية السرقات في كتابه **(طبقات فحول الشعراء)** مشيرا إلى أن:"اختلاف الروايات بين الشعراء قد اؤدي إلى الاهتمام بالسرقات فبعض الرواة يأخذون أبياتا من شاعر ينسبونها إلى شاعر آخر،أو أن يضم الشاعر بيتا من شعر غيره إلى شعره،كذبك أشار إلى ضربين من السرقة دون أن يوضحها وهما الإغارة والشتراك،فقصد بهما السرقة بمدلولها العام"[13].

فطن ابن سلام إلى أن اختلاف الرواية يؤدي أحيانا إلى فكرة السرقات، كما نبه ابن سلام إلى فكرة المعنى الذي تدوول حتى استفاض وصار كالمشترك فهو يقول إن امرأ القيس" سبق العرب إلى أشياء ابتدعها،استحسنها العرب و اتبعه فيها الشعراء ، منه استيقاف صحبه، والبكاء في الديار، ورقة النسيب وقرب المأخذ،وشبه النساء بالظباء والبيض..."[14]. إن دراسة الجمحي لمصطلح تاسرقة كان مجرد إطلالة سريعة خصص لها قسما في كتابه وإضافة إلى ما ذكره الأصمعي من تسميات وأنواع وأسماء أخرى،هي النحل والاشتراك والإغارة واعتبرها ضمن السرقات دون التفصيل فيها.

---

[11] نفسه،ص:167

[12] نفسه،ص:106

[13] طبقات الشعراء 730/2 وما بعدها.

[14]- طبقات الشعراء 732/2 وما بعدها.

3-ابن قتيبة: ردد ابن قتيبة ما قاله ابن سلام فيما يتعلق بفكرة المعنى الذي تدوول حتى استفاض و صار كالمشترك.و لكنه وسع من معنى هذه المعنى،كما فطن ابن قتيبة إلى السرقة الخافية، و رأى أن زيادة الآخذ على المعنى المأخوذ يتيح له فضل الزيادة، وأكد ما فطن إليه ابن سلام من أن اختلاف الرواية قد يؤدي إلى فكرة الرقة، شتر من خلال أمثلته إلى نوعين من السرقة سرقة الألفاظ وسرقة المعاني، وتنبه إلى أن الاتباع والأخذ يكونان في الطريقة والنهج أيضا دون اللفظ والمعنى[15]. يقول: " و كان الناس يستجيدون للأعشى قوله:

وكَأسٍ شَرِبتُ عَلى لَذَّةٍ وَأُخرى تَداوَيتُ مِنها بِها

حتى قال أبو نواس:

دَع عَنكَ لَومي فَإِنَّ اللَومَ إِغراءُ وَداوِني بِالَّتي كانَت هِيَ الداءُ

فسلخه و زاد فيه معنى آخر اجتمع له به الحسن في صدره و عجزه،فللأعشى فضيلة السبق عليه، ولأبي نواس فضل الزيادة فيه"[16].

4-ابن طباطبا: وقف ابن طباطبا من قضية السرقات الشعرية موقفا متسامحا،إذ ألف شعر المحدثين، وأدرك أن الشاعر المحدث قد ضاق عبيه مجال المعاني، فسار على نهج النقاد في القرن الثالث الهجري، بقوله:"وإذا تناول الشاعر المعاني التي قد سبق إليها فأبرزها في أحسن من الكسوة التي عليها لم يُعب بل وجب له فضل لطفه وإحسانه فيه كقول أبي نواس:

وإن جرت الألفاظ منا بمدحةٍ بغيرك انسانًا فأنت الذي نعني

أخذه من الأحوص الذي يقول:

متى ما أقل في آخر الدهر مدحةً فما هي إلَّا لابن ليلى المُكَرَّمِ[17] "

---

[15] – حسين الجداونه، ص: 293.

[16]– ابن قتيبة: الشعر و الشعراء،ص:73.

[17] – نفسه ص123.

5-المرزبـاني: تناول المرزباني السرقات في كتابه "الموشح" مستعملا عبارة مآخذ العلماء على الشعراء فأكثر من أخبارها مستخدماً مصطلحات القدماء من النقاد كالانتحال والأخذ والاجتلاب والاغارة والنقل كما استخدم مصطلح "المسخ" في السرقات، إلَّا أنّنا نراه مقلداً في كثير من آرائه للنقاد الذين سبقوه سواء على مستوى المصطلح أو في آرائهم فيقول: "وحق من أخذ معنى وقد سبق إليه أن يصنعه أجود من صنعه السابق إليه أو يزيد عليه فيه حتى يستحقه، فأمَّا إذا قصَّر عنه فإنَّه مسيء مَعيبٌ بالسرقة مذموم في التقصير"[18] ، ويقول أيضًا: "ولا يعذر الشاعر في سرقته حتى يزيد في إضاءة المعنى، أو يأتي بأجزل من الكلام الأول، أو يسنح له بذلك معنى يفضح ما تقدمه ولا يفتضح به".

6 -أبو هلال العسكري:تحدث العسكري عن قضية السرقات في معرض حديثه عن "حسن الأخذ وحل المنظوم"[19] كانت عناية أبي هلال العسكري بقضيةالسرقات وقد جعل هذه الدراسة في فصلين:الأول في حسن الأخذ،و الثاني: في قبح الأخذ.و يمكننا حصر منهج العسكري في دراسته للسرقات فيما يأتي:

-جعل العسكري المعاني على ضربين:الأول يبتدعه صاحب الصناعة من غير أن يكون له إمام يقتدي به فيه،والآخر يحتذيه على مثال تقدم. والعسكري يقرر أن الناس لا غنى لهم عن تناول معاني المتقدمين،كما يقرر أن المعاني مشتركة بين العقلاء،"فربما وقع المعنى الجيد للسوقي و النبطي والزنجي و إنما يتفاضل الناس في الألفاظ و رصفها، وتأليفها ونظمها"[20]، كما يؤمن العسكري بالأخذ الحسن،ويضع له القواعد التالية:

*أن يكسو المتأخر معنى المتقدم ألفاظا من عنده

*أن يصوغه صياغة جديدة و يورده في غير حليته الأولى

---

[18] - الموشح ص167

[19] - أبو هلال العسكري: الصناعتين،ص:196.

[20]- المصدر نفسه،ص:196.

*أن يزيد في حسن تأليفه و جودة تركيبه و كمال حليته.

*أن يأخذ معنى من النثر فينظمه.

*أن ينقل المعنى من غرض لآخر.

7- ابن رشيق القيرواني: تناول ابن رشيق هذه القضية من خلال مصنفه(العمدة)فأفرد لها بابا بعنوان (السرقات وما شاكلها) [21] ، ويرى بأن (الحديث عن السرقات متسع جدا ولا يستطيع أحد من الشعراء أن يدّعي السلامة منه، كذلك السرق فيه الغامض ولا يقدر على كشفه إلاّ البصير الحاذق بصناعة الشعر ونقده، فيها الواضح المكشوف الذي لا يخفى على الجاهل المغفل)[22] ، وقد عودنا ابن رشيق كما في القضايا النقدية التي عالجها ،فهو يصهر خلاصة ما قيل قبله من أقوال وآراء في السرقة ثم يبلور رأيه معقبا أو مستخلصا.من أمثال ذلك أمثال الحاتمي والجرجاني وعبد الكريم النهشلي وابن وكيع التنيسي،ويعجبه خاصة رأي الجرجاني إذ نراه يثني عليه ثناء حسنا فيذهب إلى أنه خير من تناول مشكلة السرقات وأنه كان(أصح مذهبا وأكثر تحقيقا من كثير ممن نظر في هذا الشأن)[23] .يرى ابن رشيق أن السرقة على ثلاثة أنواع:

-سرقة اللفظ مع المعنى.

-سرقة المعنى مع تغير بعض اللفظ.

-سرقة تعتمد على تغيير بعض المعنى أو قلبه عن وجهه حتى يخفيه.

ومن هذه الأنواع الثلاثة تتفرع وجوه أخرى للسرقات يثبتها ابن رشيق في كتابه العمدة.ولعله في معالجته هو أكثر العلماء تتبعا للمصطلحات الخاصة بأنواع السرقات وحصرها وتحديد

---

[21]- مما يجدر الإشارة له هنا أن ابن رشيق قد خص بعض أبواب عمدته لقضية السرقات الشعرية، وقد أفرد لها رسالة بأكملها من أجل دراستها، وقد سماها قراضة الذهب في نقد أشعار العرب وكان الرد على من اتهمه بسرقة المعنى من قول عبد الكريم النهشلي؛الباعث على تأليف هذه الرسالة. ينظر :فريدة مقلاتي،المرجع السابق،ص195

[22] ابن رشيق، المصدر السابق،ج2،ص280.

[23] نفسه،ص:281

مفهومها من اصطراف،وانتحال وإغارة وغصب،ومرافدة، واهتدام، وعكس وموارادة...[24] ممثلا لكل مصطلح ما يناسبه من الشعر.

[24] – نفسه 283/2 وما بعدها.